ثالثا- بطاقة الملاحظة

تُعد بطاقة الملاحظة من الأدوات المهمة المستخدمة في جميع البيانات والمعلومات بالنسبة للأبحاث والرسائل العلمية، وخاصة في ظل رغبة الباحث العلمي في الحصول على معلومات دقيقة من المفحوصين، دون إخفاء أي سلوكيات خاصة بهم، حيث تتم الملاحظة بشكل مباشر على خلاف أدوات البحث العلمي الأخرى التي تتطلب تدوين أسئلة قبل الشروع في دراسة العينة، وسوف نفصل في هذا المقال جميع ما يتعلق ببطاقة الملاحظة في البحث العلمي.

وتُعرف الملاحظة بوجه عام على أنها: "الانتباه لأمر معين وسبر غوره عن طريق السمع أو البصر، ومن ثم اكتساب الخبرات والمعلومات".

كما تُعرف بطاقة الملاحظة في البحث العلمي اصطلاحيًّا على أنها: "نموذج مُعد من جانب الباحث العلمي؛ لمراقبة السلوكيات المرتبطة بظاهرة محددة؛ من أجل الحصول على البيانات والمعلومات في ظل عوامل وظروف معينة".

ويلجا الباحث الى استعمال اداة الملاحظة في البحث في الحالات التالية:

- عندما يرغب الباحث في الحصول على معلومات نوعية وليس كمية، حيث تسمح له أداة الملاحظة بجمع بيانات الدراسة، ووصف المعلومات والبيانات بطريقة تفصيلية، وتعكس مختلف التأثيرات التي تصاحب وقوع السلوك أو الظاهرة بصورة حية مثل ما هو الحال في البحوث المرتبطة بعلم النفس النمو، علم الاجتماع، العلوم البيولوجية.
- في حالة البحوث التجريبية، اين يستخدم الباحث أداة الملاحظة لرصد الاختلافات بين المجموعتين الشاهدة(ضابطة) والمجموعة التجريبية.
- في حالة القيام ببحث لمتابعة أحداث معينة، أو التركيز على أبعاد محددة دون غيرها ، فيستخدم الباحث أداة الملاحظة في هذه الحالة ، حيث تسمح له بالتمييز بين الأشياء ذات الصلة والأشياء غير ذات الصلة ، وانتقاء ما يلزم من معلومات والتركيز عليها.

كما تستعمل أداة الملاحظة في الدراسات الأنثروبولوجية (دراسة المجتمعات المحلية) ، لدراسة التفاعل في الحياة الأسرية، الدراسات التي تجري على السجون، وتستخدم ايضا في علم النفس التجريبي وفي الدراسات المرتبطة بملاحظة سلوك الأطفال أثناء اللعب وتستخدم أداة الملاحظة أيضا في المقاييس السوسيومترية باعتبارها احد الأساليب الهامة التي تعين الملاحظ على فهم أبعاد الموقف الاجتماعي.

شروط استعمال أداة الملاحظة: عند تصميم استمارة الملاحظة ينبغي على الباحث:

-كتابة مفردات وعبارات شبكة الملاحظة التي تمثل موضوع البحث بشكل دقيق والاعتماد على مفاهيم الاختصاص و الابتعاد عن العشوائية والتخبط. بحيث يجب أن تكون عناصر القياس المتضمنة في الاستمارة تمثل مواقف يمكن ملاحظتها فعلا.

- أن ينحصر اهتمام الباحث على جوهر السلوك المعني قياسه وليس بأمور هامشية أخرى و التحرر من الأفكار السابقة عن موضوع الملاحظة

- ينبغي أن يكون الملاحظ متمتعا بحواس سليمة تمكنه من الملاحظة بدقة بالتالي تسجيل المعلومات بشكل منتظم ومقنن والإفادة منها.

أنواع الملاحظة في البحث العلمي:

هناك العديد من التصنيفات التي وضعها خبراء الأبحاث العلمية للملاحظة، ومن أهمها ما يلي:

التصنيف وفقًا لمدى انضباط عملية الملاحظة:

- **الملاحظة الطبيعية:** وهي تعتمد على مراقبة الظاهرة دون أي إعدادات مسبقة، ومن ثم الحصول على الصور لما يراه الباحث من أحداث تتعلق بالظاهرة، ويسمي البعض ذلك النوع بالملاحظة البسيطة التي تعد ممهدة للبحث العلمي.

- **الملاحظة المضبوطة:** وهي تتطلب إعدادات مسبقة من جانب الباحث مثل: تجهيز أدوات التصوير أو التسجيل، وقد يقوم الباحث بتهيئة ظروف معينة؛ من أجل إظهار ما يرغب في دراسته بوضوح.

التصنيف وفقًا لاشتراك الباحث:

- **الملاحظة بالاشتراك:** وفيها يقوم الباحث العلمي بمشاركة أفراد العينة، عن طريق الاندساس فيما بينهم دون أن يعرفهم بالهدف من ذلك، كأن يتعايش مع مجموعة من المرضي النفسيين لوقت معين على أنه مريض، والتعرف علي مشكلاتهم، أو أن يدخل السجن لدراسة سلوكيات المسجونين... إلخ، وتتميز تلك الطريقة بجودة البيانات التي يحصل عليها الباحث ودقتها، فهو يتعايش مع الموقف عن قرب، غير أن ذلك النوع من الملاحظة قد يعرض الباحث للمخاطر الجسام، في ظل إمكانية التعدي عليه من جانب بعض الأفراد.

- **الملاحظة دون الاشتراك:** وعن طريق ذلك النوع يلاحظ الباحث العلمي عينة الدراسة من بعيد، وينظر إلى المواقف الطبيعية التي يُحدثها الأفراد؛ عن طريق كاميرات المراقبة أو من وراء الحواجز الزجاجية.

التصنيف وفقًا لطريقة الاتصال بالمبحوثين:

- **الملاحظة بصورة مباشرة:** وتتم من خلال المشاهدة المباشرة للظاهرة أو للأفراد محل الدراسة.

- **الملاحظة بصورة غير مباشرة:** وتكون من خلال الاطلاع على التقارير والسجلات التي يقوم بإعدادها المشرفون أو الموظفون عن المكان الموجود في عينة الدراسة، غير أن ذلك النوع يعاب عليه إمكانية وجود أخطاء في التقارير المعدة، ومن ثم لا تخرج المعلومات التي يسوقها الباحث بشكل إيجابي.

مراحل إجراء الملاحظة في البحث العلمي:

المرحلة الأولى:

تحديد الهدف من بطاقة الملاحظة: ويتم تحديد الأهداف في ضوء طبيعة موضوع البحث العلمي المراد تنفيذه، فعلى سبيل المثال: في حال دراسة مشكلات الأطفال في المرحلة ما بين سن الخامسة والعاشرة، فيكون الهدف هو التعرف على السلوكيات السلبية في تلك المرحلة، وجمع المعلومات عن ذلك.

المرحلة الثانية:

تحديد عينة الدراسة: ويجب أن تُمثل العينة مجتمع الدراسة بأكمله، حتى يمكن أن يتم تعميم النتائج في النهاية، فعلى سبيل المثال في حالة الدراسة السالف ذكرها في الفقرة السابقة والمتعلقة بدراسة مشكلات الأطفال خلال فترة سنية محددة، يجب أن يقوم الباحث العلمي باختيار أطفال في سنوات متنوعة حسب ما تقتضيه الدراسة.

المرحلة الثالثة:

تصميم بطاقة الملاحظة: وتتمثل في إعداد النموذج، والذي يختلف في البيانات المدونة به حسب طبيعة البحث، وهو عبارة عن صفات وتوجهات يتوقعها الباحث ويكون دلك بتحليل الصفات الرئيسية إلى صفات فرعية ثم تحليل كل مهمة فرعية إلى مهارات أوصفات تحت فرعية (جزئية)، وذلك بالرجوع إلى الكتب والمراجع المتخصصة في المهارة او الصفة المطلوبة.

كتابة بنود البطاقة بالترتيب النموذجي :على شكل مراحل ولكل مرحلة مجموعة من الخطوات والأداءات الإجرائية المتتابعة.

تحديد القيمة الوزنية بالدرجات لكل خطوة من خطوات البطاقة :لأن الخطوات تختلف في أهميتها والدقة المطلوبة لتحقيقها.

المرحلة الرابعة:

اختبار بطاقة الملاحظة: من المهم أن يقوم الباحث بتجربة بطاقة الملاحظة قبل الشروع في الملاحظة الشاملة، والهدف من ذلك هو التأكد من مدى جدواها في منح النتائج المُنضبطة التي يتطلع إليها الباحث. ويكون دلك ب:

أ- حساب صدق بطاقة الملاحظة :باستخدام صدق المحتوى وذلك بعرض الصورة المبدئية للبطاقة على مجموعة من المحكمين في مجال موضوع البحث حول مدى:

- مناسبة البطاقة للهدف منها.
- الصحة العلمية واللغوية لبنود البطاقة.
- مناسبة كل بند للهدف الذي وضع من أجله.

ثم إجراء التعديلات التي يُجمع عليها 80 % فأكثر من آراء المحكمين مثل حذف، إعادة صياغة، إعادة ترتيب بعض بنود البطاقة.

حساب متوسط القيمة الوزنية لكل خطوة وذلك بجمع الدرجات التي أعطاها المحكمين لهذه الخطوة مقسومة على عدد المحكمين.

ب- حساب ثبات بطاقة الملاحظة :لحساب ثبات بطاقة الملاحظة نتبع الخطوات التالية :

- قيام الباحث بتدريب أحد الزملاء في مجال التخصص على استخدام بطاقة الملاحظة لفرد او اثنين من أفراد المجموعة الاستطلاعية، وذلك لإكسابه مهارة استخدام البطاقة وللتعرف على أي صعوبات قد تواجهه أثناء الاستخدام.

- استخدام كل من الباحث وزميله بطاقة الملاحظة في ملاحظة عدد من أفراد المجموعة الاستطلاعية، ويراعى أن يكون الباحث وزميله كل منهما مستقلاً عن الآخر أثناء عملية التقويم.

- حساب معامل الاتفاق بين الباحث وزميله في ملاحظة كل فرد على حدة باستخدام معادلة كوبر Cooper ثم حساب متوسط المعاملات بين الباحث وزميله في السلوك الملاحظ لجميع الأفراد باستخدام بطاقة الملاحظة،

5- تطبيق بطاقة الملاحظة:

-إشراك باحث زميل لتدوين الملاحظات لضمان عدم إغفال أي ملحوظة و الاستعانة بالتجهيزات الحديثة التي تمكنه من تحقيق ملاحظة دقيقة إن أمكن.

- تسجيل البيانات والمعلومات وفق نظام علمي يصنف دقائق السلوك أو المظاهر التي ينبغي قياسيا وبالتالي تحويلها إلى كم رقمي ليسهل فرزها وتصنيفها

- التدوين الفوري لجميع الملاحظات و فرزها لاحقا و تحري الدقة أثناء التدوين لضمان دقة النتائج

-عدم اختصار وقت الملاحظة و تفادي التسرع وعدم وضع أي تفسيرات فورية أثناء الملاحظة و تدقيق جميع المعلومات لاحقا.

المرحلة الخامسة:

التطبيق الشامل على العينة: وفيها يقوم الباحث العلمي بإجراء الملاحظة على عينة الدراسة، وتدوين جميع المعلومات المرتبطة بذلك، وفقًا لبطاقة الملاحظة التي تم تصميمها سلفًا.

مزايا استخدام بطاقة الملاحظة في البحث العلمي:

- استخدام بطاقة الملاحظة في البحث العلمي يؤدي للحصول على معلومات وبيانات دقيقة على عكس الأدوات البحثية الأخرى مثل: الاختبارات والاستبيانات... إلخ، ومن ثم الإجابة عن أسئلة البحث، أو الفرضيات العلمية المدونة من جانب الباحث.

- يمكن عن طريق بطاقة الملاحظة دراسة الظاهرة بتعمق، وكذلك يمكن دراسة أكثر من ظاهرة في الوقت نفسه.

- تساهم بطاقة الملاحظة في البحث العلمي في الحصول على كم كبير من المعلومات والبيانات، وفقًا للمجهود الذي يقوم به الباحث العلمي، دون الانتظار لحين عودة استثمارات نماذج الإجابة مثل الوسائل الأخرى.

- دراسة السلوكيات والتوجهات المرتبطة بالظاهرة موضوع البحث العلمي بصورة طبيعية دون تصنع من المفحوصين.

عيوب استخدام بطاقة الملاحظة في البحث العلمي:

- يحتاج أسلوب الملاحظة إلى وقت زمني طويل في مراقبة الظواهر أو الإشكاليات المرتبطة بالبحث العلمي على عكس أدوات البحث العلمي الأخرى، ومع كبر حجم عينة الدراسة فقد يمتد الأمر لسنوات طويلة لدراسة العينات.

- تعد التكلفة المادية المرتبطة باستخدام بطاقة الملاحظة في البحث العلمي أعلى من نظيراتها في أدوات البحث العلمي الأخرى، مما يؤدي إلى عزوف الكثيرين من الباحثين العلميين عن استخدام تلك الطريقة، وخاصة في حالة وجود ظواهر - --- تحتاج إلى تقنيات علمية متقدمة لا تتوافر لدى الباحث مثل: أجهزة التصوير الدقيقة.... إلخ.

- يتطلب استخدام بطاقة الملاحظة في البحث العلمي مهارات وخبرات علمية وعملية من جانب الباحث، وفي حالة عدم توافر ذلك أو وجوده بشكل غير كافٍ فإنَ ذلك يؤدي إلى الحصول على بيانات ومعلومات يشوبها القصور والسلبية.

- في حالة رغبة الباحث العلمي في مراقبة المفحوصين والتعرف على سلوكياتهم في ظل ظروف مَصطنعة من جانبه لقياس أحد جوانب الظاهرة، فينبغي أن يتم أخذ موافقة المفحوصين على ذلك، مع عدم إبلاغهم بوقت التجربة؛ حتى تظهر توجهاتهم بشكل طبيعي، مع مراعاة عدم الإضرار بالمفحوصين ماديًا أو صحيًا.

- قد يكون للعوامل الخارجية تأثير على النتائج التي يحصل عليها الباحث من استخدام بطاقة الملاحظة في البحث العلمي.

- في حالة توقع الباحث الذي يقوم باستخدام بطاقة الملاحظة لحدوث أمر معين، فقد لا يحدث ذلك الآمر وقت وجود الباحث العلمي على الرغم من وجوده فعليًا وحدوثه في وقت آخر.

- في حالة معرفة عينة الدراسة أو المفحوصين بوجود الباحث العلمي لإجراء الملاحظة فقد يعطون انطباعات وتوجهات مخالفة للحقيقة، وبالتالي يشوب المعلومات والبيانات التي يجمعها السلبية بما يؤثر في النهاية على نتائج البحث العلمي.